لو أن غير الشعب العربي الفلسطيني يمارسون معه هذه الألاعيب لربما أمكن لها أن تجد مغفلين يصدقونها. ولكن الشعب الذي يسمع كلام شيمون بيريس ضد سياسة آريئيل شارون، أو كلام الاتحاد الأوروبي ضد كلام الولايات المتحدة هو نفسه الذي مورست مع أبنائه لسنوات طويلة لعبة القاسي والرحيم في سجون الاحتلال، حيث كان هناك دائما ضابط التحقيق الذي يستخدم الضرب والتعذيب الوحشي، في مقابل الضابط الآخر الذي يمثل الهدوء والأناة ودعوة الفلسطيني المقاوم إلى الاعتراف بالحسنى، مع وعد بأنه سيحميه من عنف الضابط الأول.

هذا بالضبط ما يجري اليوم، لا مع الفلسطينيين العاديين وحسب، بل مع رئيسهم وقيادتهم! فالضغط على الرئيس الفلسطيني الذي يمثل قمة الشرعية السياسية الفلسطينية يجري بواسطة الدبابة التي تحاصر مقره في رام الله والطائرة التي تغير على مهبطه في غزة، مثلما يجري بواسطة أنتوني زيني الذي هو آخر طبعة من المبعوث الأمريكي دينيس روس، وبواسطة خافيير سولانا الوجه النحاسي للاتحاد الأوروبي.

والضغط الجاري لا يهدف إلى مجرد حمل ياسر عرفات على محاربة ما يدعونه الإرهاب، ولكنه يهدف إلى الحصول على توقيع الرئيس الفلسطيني على الاعتراف بشرعية الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة، بعدما وضعوا في جيبهم منذ زمن بعيد اعتراف الجانب الفلسطيني بشرعية الاحتلال الذي وقع عام ١٩٤٨.

والحكومات الغربية كلها تعلم الحقائق. فمشكلتنا مع العالم اليوم أنه منافق فاسد الضمير لا ساذج ناقص المعلومات. وإسرائيل تصدق فيها اليوم القصة التي رويت عن الطاغية الروماني القديم نيرون عندما نظر إلى صبيه الطفل وقال: هذا أقوى إنسان في العالم! ثم تطوع بالشرح قائلا: ذلك بأن روما تحكم العالم، وأنني أحكم روما، وأن أم الصبي تحكمني، وأن الصبي يحكم أمه!! ومع إيماننا بأن الإعلام العربي في الخارج قاصر ومشوه ككل شيء في حياة الأمة، فإن المشكلة ليست مجرد مشكلة إعلام بل مشكلة مكانة منطقتنا بالنسبة للآخرين، وقيمة الأنظمة العربية وقيمة إرادتها بالنسبة للآخرين.